العرب
السبت 2020/12/12
السنة 43 العدد 11909

البرنامج النووي الإيراني بين واشنطن والاتحاد الأوروبي

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية المركز الدولي للجيوبوليتيك – باريس

تمسكت الترويكا الأوروبية (ألمانيا، بريطانيا وفرنسا) بالاتفاق النووي المبرم مع إيران في يوليو 2015، وراهنت على وصول جو بايدن إلى البيت الأبيض من أجل إرساء تعاون مع الولايات المتحدة في الكثير من الملفات الدولية ومن أبرزها الملف الإيراني. لكن تداعيات إجراءات وأحداث السنوات الأخيرة لن تجعل المهمة سهلة لأن التطبيع مع إيران يقتضي عمليا ربط البرنامج النووي بالبرنامج الصاروخي والتوسع الخارجي.

وفي هذا الصدد، ترفض طهران توسيع التفاوض ولا تبدي أي مرونة بالرغم من إستراتيجية أقصى الضغط وضربتي سليماني وفخري زاده. لذلك بانتظار تمركز إدارة بايدن وتبيان أولوياتها، وبانتظار الانتخابات الرئاسية الإيرانية في يونيو القادم، سيكون البرنامجان النووي والصاروخي تحت المجهر وسيكون هناك سباق زمني للحد من مخاطر البرنامجين، تمتد مرحلته الأولى إلى نهاية ولاية دونالد ترامب، وستكون مرحلته الثانية خاضعة لحسابات وتوازنات إقليمية ودولية. بعد الانتكاسات الإيرانية في 2020 يمكن أن نشهد منعطفات حادة في 2021.

قبل عودة واشنطن المنتظرة للاتفاق النووي ومواكبة أوروبا لذلك، أتى اغتيال محسن فخري زاده، أب البرنامج النووي الإيراني، ليسلط الضوء على وجود "برنامج نووي عسكري مواز، جرى إبقاؤه سرا، حتى بعيدا عن أعين مسؤولي الحكومة الرسمية بالبلاد". وهذا الكلام لمصدر أوروبي متابع للأنشطة الإيرانية يستند إلى جملة من الدلائل والإشارات إلى سعي إيراني منذ منتصف تسعينات القرن الماضي لإقامة برنامج مواز لا يهدف بالضرورة إلى تصنيع قنبلة نووية بشكل سري، بل ضمان الاتجاه نحو تحقيق "العتبة النووية" (وفق المثال الياباني) وهذا يعني الوصول إلى مستوى السيطرة على دورة الوقود النووي اللازم لتركيب قنبلة نووية، لكن من دون إنتاج هذه القنبلة.

وفي هذا المجال نشير إلى تسريب لاجتماع بداية التسعينات كشف خلاله الرئيس الإيراني الأسبق علي أكبر هاشمي رفسنجاني عن شراء طهران لقنابل نووية بدائية تقليدية من تركة الاتحاد السوفييتي السابق. بالطبع يحتاج ذلك إلى تدقيق لكن ما يزيد أكثر من منسوب القلق هو حجم تطور البرنامج الصاروخي والأسرار المحيطة به.

بعد مصرع فخري زاده، يقدر خبير عسكري عمل سابقا في الناتو أن إيران استثمرت أكثر من مئة مليار دولار في برنامجها النووي، وهو يتساءل لماذا تنفق كل هذه الأموال في بلد لديه طاقة كافية ولماذا تنفق مبالغ ضخمة لتطوير صواريخ دقيقة للوصول إلى تصنيع صاروخ قادر على حمل رأس حربي نووي، وهنا يركز هذا الخبير على دور فخري زاده في الربط بين البرنامجين النووي والصاروخي.

وبالرغم من وقع عملية الاغتيال، يرجح أن المرشد علي خامنئي سيلوح دوما بالانتقام، لكنه أعطى توجيهاته للتركيز على أهمية استمرار عمل فخري زاده للوصول نحو "الحافة النووية" والمناورة مع إدارة بايدن والأوروبيين وفق نفس الأسلوب المتبع سابقا مع إدارة باراك أوباما حيث تم تقديم تنازلات بخصوص الشق المدني العلني من البرنامج النووي، بينما بقي الجانب العسكري الخفي والبرنامج الصاروخي خارج دائرة التفاوض.

منذ مايو 2019 أوقفت طهران تنفيذ كل التزاماتها التي نص عليها "الاتفاق النووي" جراء انسحاب أميركا منه مايو 2018، لكنها حرصت على أن تكون الخطوات التي اتخذتها ردا على الانسحاب يمكن العودة عنها إذا قرّرت أميركا العودة إلى الاتفاق. لكن الجانبين الأميركي والإسرائيلي استمرا في عملياتهما السرية ضد الشق العسكري المفترض من البرنامج النووي وحسب مصادر متطابقة كانت "الانفجارات والحرائق الغامضة" في الصيف الماضي في منشأة بارشين للصواريخ، ومنشأة نطنز النووية حيث تم تدمير تجمع لأجهزة طرد مركزي متقدمة.

وبعد اغتيال زاده تم الكشف عن بناء تجمع جديد قرب نطنز وطبعا تحت الأرض. وكل ذلك يعني أن الضربات منذ 2010 أخرت وأنهكت البرنامج النووي لكنها لم تقوضه خاصة أن مهلة اتفاق 2015 تنتهي في 2025 وتجعل الموقف مفتوحا على كل الاحتمالات.

في هذا السياق، بينما يؤكد أكثر من مسؤول معين في إدارة بايدن على العودة إلى الاتفاق النووي ومعالجة باقي الملفات لاحقا. لكن ذلك يفترض تخلي إيران عن طلب رفع العقوبات والكثير من العقبات الأخرى، لكن اللافت كان تبني الدول الأوروبية الموقعة على الاتفاق موقفا مهما، على لسان وزير الخارجية الألماني هايكو ماس، الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي حتى نهاية هذا العام، فحواه أنه "ينبغي أن يكون هناك نوع من اتفاق نووي مع إضافات لا أسلحة نووية لكن أيضا لا برنامج صواريخ باليستية يهدد كل المنطقة. إضافة إلى ذلك، ينبغي على إيران أن تؤدي دورا إيجابيا في المنطقة".

> التناغم الأوروبي مع إدارة بايدن سيمثل ضغطا إضافيا على طهران، وسيترك ذلك أثره على الموقفين الروسي والصيني اللذين لن يتجاوبا حكما مع أي سعي إيراني لتجاوز الخطوط الحمراء في البرنامجين النووي والصاروخي

ومما لا شك فيه سيشكل هذا الموقف قاعدة عمل لترتيب الأوراق مع الإدارة الأميركية الديمقراطية المنتخبة ويجعل من الدول الأوروبية شريكا تاما في التفاوض. ويعد هذا الموقف ضاغطا بدوره على إيران ونجاحا معنويا لإدارة الرئيس الأميركي ترامب، التي رسمت سقفا لا يمكن لإدارة بايدن أو أيّ مفاوض آخر تجاوزه، خاصة أن الخشية ستكون من تصعيد يوصل المنطقة إلى الحرب أو استمرار زعزعة بلدان هشة من العراق إلى لبنان.

تبعا لكل هذه المعطيات، ستكون عودة التفاوض بين واشنطن وطهران حول الملف النووي الإيراني أكثر صعوبة. وسيمثل التناغم الأوروبي مع إدارة بايدن ضغطا إضافيا على طهران، وسيترك ذلك أثره على الموقفين الروسي والصيني اللذين لن يتجاوبا حكما مع أي سعي إيراني لتجاوز الخطوط الحمراء في البرنامجين النووي والصاروخي.

ونظرا لإعلان واشنطن إشراك المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة في أي مفاوضات مقبلة، وللدور الإسرائيلي المؤثر في هذا الملف، ستكون طهران في موقع تفاوضي أكثر حرجا مما كان عليه الأمر مع إدارة أوباما.

ومن دون شك أن التأزم الداخلي ومعركة الانتخابات الرئاسية وملف خلافة المرشد ستلقي بظلالها على دائرة صنع القرار في إيران للجنوح نحو مغامرة غير محسوبة أو تدوير الزوايا لضمان استمرارية النظام.

عناد ترامب وأثره على الثقافة السياسية الأميركية

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

كانت ولا تزال تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب وتغريداته الرافضة لنتائج الانتخابات الأميركية، تؤثر سلبا في التوجهات الاجتماعية الأميركية العامة، وتجعل الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة، الأكثر إضرارا وأطول استمرارا في الإضرار بالبنية الإدارية والقانونية للانتخابات وللسلم الأهلي تاليا. وقد وصف العالم والمؤرخ الروسي بيتر تورشين، المختص في التطور الثقافي للمجتمعات والتحليل الإحصائي لديناميكياتها التاريخية، أن ترامب دفع الولايات المتحدة بلا هوادة نحو الانهيار الاجتماعي الكبير، وشبّه تورشين الدولة بسفينة ضخمة متجهة إلى جبل جليدي قائلا "طالما كان لديك نقاش بين الطاقم حول الاتجاه الذي يجب أن تتجه إليه فلن تستدير في الوقت المناسب، وستصطدم بقوة، بجبل الجليد!".

لقد عقب على هذا الرأي، الصحافي والناشط الأميركي جوناثان راوخ، قائلا "إن جزءا من المشكلة هو أن طاقم ترامب، ربما لم يعد قادرا على التحدث مع بعضه البعض، لأنه افتقد اللغة المشتركة، وضيّع منهجية الفهم أو دستور وأساسيات معرفة ما يجري". ويرى راوخ في تفشي عملية التصيد عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وممارسة عمليات الهدم المتعمد للثقة في جميع الحقائق، يمثل تقويضا خطيرا ومستداما للإجماع الاجتماعي، الذي يدعم النسيج الأساسي للديمقراطية، ويطيح ببداهة الموافقة على نظام الحكم والتداول على السلطة.

ويقول هذا الكاتب إن الولايات المتحدة، قد واجهت العديد من التحديات لثقافتها السياسية، لكن هذه هي المرة الأولى التي تشهد فيها الدولة الأعظم، هجوما معرفيا ممنهجا على المستوى الوطني، ينطلق من أعلى مستويات السلطة، ويفتك بالقدرات الجماعية على التمييز بين الحقيقة ونقيضها الزائف!

ويذهب الكثيرون في الولايات المتحدة إلى القناعة بأنه على عكس الأكاذيب والدعاية العادية، التي تحاول جعل الناس يصدقون شيئا ما؛ فإن المعلومات المضللة، التي روجها ترامب جعلتهم يرفضون ادعاءاته.

ومن خلال رصد هذه الظاهرة الناشئة على نحو غير مسبوق في الولايات المتحدة، نطالع آراء بعض الكتاب والصحافيين الجمهوريين، الذين ساندوا ترامب وقراراته طوال فترة ولايته، نجد أن ديفيد بروكس، وهو واحد من أكثرهم شهرة، يصبح معاديا لترامب، ويكتب في صحيفة "نيويورك تايمز" مقالا نقديا حادا ومريرا، بعنوان "تعفن العقل الجمهوري" ويشرح مخاوفه من أن تؤدي ممارسات ترامب إلى "أزمة على مستوى نظريات المعرفة"، يحملها وينقلها كالفايروس، كل الغارقين في القلق والاغتراب، ومن توغل فيهم الإحساس بأن كل شيء خرج عن السيطرة، وبات عُرضة لنظريات المؤامرة.

هذا الفايروس يمثل أدوات هدم عاطفية نافذة وفعالة للغاية، لاسيما وسط الناس البسطاء الذين لا ينتمون إلى مجموعات وشرائح عليا. ففي مثل هذه الحال، يصبح في مقدور الإنسان البسيط، محدود المعرفة، أن يتمثل وضع الشخص المتفوق، ويكون قادرا على القول إن لديه معلومات مهمة لا يمتلكها معظم الناس!

ويُدلي كاس سنستين من كلية الحقوق بجامعة هارفارد، بدلوه ويذهب في الاتجاه نفسه ويقول "حين يتخيل الإنسان أن من يخالفونه الرأي أعداء أشرار، فعندئذ يمكنه أن يستخدم أي تكتيك يريد!".

من خلال ذلك يتضح جليا أن هناك مشكلة ناشئة عن ضياع الفهم المشترك لمعنى السياسة والديمقراطية، الذي هو حجر الأساس الضروري للسياسات الرشيدة التي تضيق الفجوة بين الأطراف المتنافسة، وتجعل الفارق بين الجمهوريين والديمقراطيين، انقساما لا نهاية له ولا يمكن معالجته بأي مستوى من التوافق. بل إن العكس هو الذي سيحدث، إذ سيؤدي هذا الانقسام إلى صيرورات غير متوقعة، فيتسبب مثلا في جرف الطرفين إلى وضع الجفاء البات، الذي يجعلهما غير قادرين على الحكم أو توفير الاستقرار لمؤسسة السلطة!

ولا يدع الألمان هذه المسألة تمر دون تعليق، فيكتب يوخن بيتنر الصحافي في جريدة "دي زييت"، أن رفض ترامب قبول نتيجة الانتخابات يعكس رفضا مشابها لرفض الألمان، قبول الهزيمة في الحرب العالمية الأولى في العام 1918، ويقول "أدى إنكارهم إلى ولادة أكذوبة سياسية أكثر قوة وكارثية في القرن العشرين، من خلال الترويج لفكرة الطعن في الظهر، وتلك فكرة ترعرعت النازية في كنفها!".

ففي ذلك المثال الألماني، كانت هناك رواية وطنية لا تتزعزع عن الاضطهاد والتعرض للظلم، وقد اكتسبت قوة في سنوات ما بعد الحرب وأرست بذور نجاح هتلر. وكتب بيتنر "سقطت أول ديمقراطية في ألمانيا بجريرة ذلك الإحساس وتلك الفكرة". ويستطرد قائلا "دون إجماع أساسي مبني على واقع مشترك، انقسم المجتمع إلى مجموعات من الحزبيين المتحمسين المتصلبين. وفي جو من عدم الثقة والبارانويا، ترسخت بشكل مطرد فكرة أن المنشقين كانوا يشكلون تهديدات للأمة".

> هذه هي المرة الأولى التي تشهد فيها الدولة الأعظم هجوما معرفيا ممنهجا على المستوى الوطني ينطلق من أعلى مستويات السلطة ويفتك بالقدرات الجماعية على التمييز بين الحقيقة ونقيضها

يختلف رأي تورشين الروسي الأميركي، عن الترامبية وأتباعها، لكنه وغيره يرون أن القاعدة الاجتماعية للترامبية تمثل "فائض النخبة" أو جموح الطبقة الأليغارشية وأتباعها أو مواليها العنصريين المسكونين بفكرة تفوق الرجل الأبيض، بينما المفترض في المجتمعات الحديثة الثرية، أن تعتمد منهج تثقيف وتوسيع المجتمعات المهنية والإدارية والعلمية والأكاديمية، بشكل أعمق وأسرع، وأوفر إنتاجا للعنصر الواعي الذي يمكن أن يشغل عددا من المناصب المهمة.

وإن عدنا إلى تورشين، نتأمل تأكيده بأن تجربة ترامب جعلت عددا أكبر من النخب السياسية والاجتماعية "يقاتل من أجل المنصب نفسه، على النحو الذي من شأنه تحويل جزء منهم إلى نخب مضادة، وهذه فجوة خلقها ترامب".

بالنتيجة يمكن القول، إن كان الماركسيون يرون أن الصراع الطبقي هو محرك التاريخ، فإن تورشين يرى أن الصراع الآن، بعد ولاية ترامب، سيكون بين متنافسين من النخبة نفسها، داخل الطبقة الأليغارشية الحاكمة.

وإذا كان حزب المحافظين في بريطانيا، خلال فترة حكم مارغريت تاتشر، قد جسد حال الإحباط في أوساط الأثرياء من الحرس القديم الأرستقراطي؛ فإن الترامبية هي التي حاولت تسخير أثرياء الغرب، المحبطين، والمستبعدين من الطبقة الوسطى، لقيادة التمرد على أوضاع اجتماعية ـ اقتصادية قائمة، ولمواجهة تحالف المحرومين والسود والملونين لإحباط طموحاتهم، لكن اعتراضات الجمهوريين على مواقف ترامب الأخيرة، جعلت النخبة المتماسكة، داخل الحزب المحافظ نفسه، تنقسم وتعاني من مشكلة معرفة، ومن تضييع معنى السياسة والديمقراطية.